دور الأدب العربي الفلسطيني وتجلياته في مواجهة صراع الهوية

أ. حسين عمر دراوشة

باحث في علوم اللغة العربية ومعارفها/ فلسطين

مستخلص

يسعى هذا البحث إلى دراسة دور الأدب الفلسطيني وتجلياته في مواجهة صراع الهوية، وذلك بتسليط الضوء على الأدب العربي الفلسطيني وصراع الهوية، والحديث عن تجليات الأدب العربي الفلسطيني في صراع الهوية، من خلال السياق الأدبي العام لنصوص الخطاب المنجزة، والكشف عن دور الأدب العربي الفلسطيني وتجلياته في مواجهة صراع الهوية، وتوضيح ما سبق بالمنهج الوصفي مع اتّخاذ نماذج أدبية، ومن ثم الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة

تقوم الكلمة في نصوص الخطاب الأدبي الفلسطيني بدور كبير في مواجهة صراع الهوية، وبرز الأدب الفلسطيني بتجليات متنوعة في مختلف السياقات، تنطلق من عمق القضية الفلسطينية ومبادئها الرئيسة وثوابتها، فيرسم الأدب الفلسطيني رؤية لطبيعة الصراع وضروبه.

- **إشكالية البحث:** يسعى البحث إلى بيان دور الأدب الفلسطيني وتجلياته في مواجهة صراع الهوية، وذلك من خلال النقاط الآتية:

أولاً- الأدب العربي الفلسطيني وصراع الهوية.

ثانياً- تجليات الأدب العربي الفلسطيني في صراع الهوية

ثالثاً- دور الأدب العربي الفلسطيني وتجلياته في مواجهة صراع الهوية.

أهداف البحث: معرفة دور الأدب الفلسطيني وتجلياته في مواجهة صراع الهوية، والكشف عن علاقة الأدب العربي الفلسطيني بصراع الهوية، ومن ثم تسليط الضوء على تجليات الأدب العربي الفلسطيني في صراع الهوية، بالاعتماد على نصوص خطابه وسياقاته المتنوعة، والوقوف على دور الأدب العربي الفلسطيني وتجلياته في مواجهة صراع الهوية في مختلف المراحل التاريخية، وتوضيح رؤية الشعراء وأدواتها في مواجهة الصراع على أرض فلسطين المباركة.

أهمية البحث: الحديث عن دور الأدب الفلسطيني وتجلياته في مواجهة صراع الهوية، وإثراء التجربة الأدبية وروابطها بمكونات الهوية، وتقديم دراسة جادة جديدة لمكتبة الأدب العربي الفلسطيني؛ ليتسنى للباحثين والدارسين وجهات الاختصاص الاستفادة من محاور البحث وأفكاره.

منهج البحث: يستخدم البحث المنهج المنهج الوصفي التحليلي، مع استحضار نماذج من نصوص الشعر الفلسطيني؛ لفاعلية المعني فيها وسهولة تداولها وانتشارها بين المتلقين، والشعراء هم: (سمير العمري، عدنان النحوي، محمود درويش، إبراهيم المقادمة، عبد العزيز الرنتيسي، عبد الغني التميمي، عبد الرحيم محمود، عبد الرحمن بارود، محمد البع، تميم البرغوثي، أحمد الريفي، لطفي الياسيني)، ومن ثم الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات وفهرس للمصادر والمراجع.

أولاً- الأدب العربي الفلسطيني وصراع الهوية.

ينتمي المنجز الأدبي الفلسطيني إلى أدب الأمة العربية والإسلامية، فهو يعبر عن حالها، فالأديب اللسان الناطق بحال الأمة وشعبه، فهي يجسد الآمال ويعبر عن الآلام، فهو صورة واضحة ومرآة عاكسة للواقع، وقد قيل: أن الأديب ابن بيئته، فلا ضير أن ينقل لنا أفكارها وعواطفها في كل الأزمان، ويتسم الأدب الفلسطيني بخصوصية لها معالمها ومعادلاتها الموضوعية ومحاورها وأفكارها ومضامينها التي تدور حولها، وتمثل فحوى نصوص خطابها المتفاعل الذي يُلقيه الأديب على مسامع الجمهور، وبرز الأدب الفلسطيني في ظل وجود صراع أيديولوجي وثقافي متعدد الأوجه، يستهدف الوجود الفلسطيني وجذوره التاريخية، فنجد أن الأدب الفلسطيني يركز في تعابيره وموضوعاته على المكانة الدينية والتاريخية والقومية وتجلياتها الرئيسة التي تمثل في مجملها ومفصلها الهوية العربية والإسلامية لأبناء الشعب الفلسطيني، ويقود ذلك إلى فاعلية المشروع الوطني وفتح آفاقاً رحبة ومسارات ومآلات فكرية أمام الكينونة الفلسطينية، من أجل تحقيق الذات وبناء الشخصية السيادية لأبناء العروبة في فلسطين التاريخية، فعبّر الشعراء الفلسطينيون عن القيم والمبادئ والثوابت المتأصلة والتي ترتبط بالتراث العربي والإسلامي المتراكم عبر الزمن والتاريخ، ويدلل ذلك على العمق الاستراتيجي الذي يمثله الأدب العربي الفلسطيني، ويحاول بيان مكانة هذه المرتكزات الأساسية التي تبيّن صورة الهوية الحضارية لأبناء الشعب الفلسطيني الأبي، وتشتد الحاجة للأدب الملتزم في ظل استمرار محاولات الطمس والتحريف والتشويه الذي يقوم به الصهاينة بحق الإرث التاريخي لأمة العرب والمسلمين؛ مما يهدد الوجود والهوية العربية في بلاد فلسطين، علاوةً على ما تتعرض له الهوية الفلسطينية من سرقات علنية وغير علينة، يحاول الأدباء إبرازها والذود عن حياضها بأقلامهم الحرة وأفكارهم النيّرة التي تدعو الجماهير إلى النفير والتثوير ضد شذاذ الآفاق من الصهاينة ومن والاهم من المنظمات السياسية الفاسدة، فالأدب الفلسطيني أدب متفاعل مع قضايا الأمة له جذوره وأصوله النابعة من القيم التاريخية والحضارية التي لها حضورها وتمثيلاتها في نصوص الخطاب الشعري الفلسطيني، والتي تعزز من مكانة الإنسان العربي في أرض فلسطين المباركة، وتشحذ همته في ظل الاستكبار والصلف الصهيوني، الذي يهدد الهوية العربية والإسلامية لفلسطين ويحاول أن يطمسها في ظل الصمت العربي، وقلة المساندة من أرباب الفكر والثقافة

في العالم العربي والإسلامي، ويستدعي ذلك همم الأحرار الأبطال من الشعراء، الذين يصدحون بقول الحق وكلمة الفصل، فالأدب الفلسطيني وثيقة حيوية ومهمة لها حضورها ومكانتها في الأدب العربي والإسلامي، التي تمثل أساساً متيناً في بناء الهوية العربية والإسلامية وتشكيلها عن الإنسان الفلسطيني المرابط على أرضه، والذي يجابه قوى الظلم والاستعمار العالمي.

ثانياً- تجليات الأدب العربي الفلسطيني في صراع الهوية.

ينتج السياق في الخطاب الأدبي الفلسطيني معادلات موضوعية، تعبر عن الوجود الفلسطيني وتجسد روح القضية الفلسطينية، ويبرز ذلك في ظل وجود صراع على إثبات الهوية وبنائها وضمان تفاعلها مع المحيط العربي والإسلامي؛ لذا يمكن بيان أبرز التجليات التي يمثلها الأدب الفلسطيني في صراع الهوية، من أجل البقاء والسيادة والتمسك بالحقوق والثوابت، وذلك على النحو الآتي:

- **التجلي الديني** الذي تبرز أولوياته حول القضايا الدينية المقدسة، والأحقية في التراث الموجود على ثرى فلسطين، وقد تنوعت الموضوعات الدينية وارتباطاتها الأيديولوجية في ظل الصراع على الهوية، لم يكن الأدباء الفلسطينيون خارج نطاق الدائرة، بل هم محورها في صدحهم بقول الحق، وإظهار الثوابت والقيم والمبادئ الدينية التي تمثل الهوية العربية والإسلامية الحضارية بفلسطين، فقال الشاعر سمير العمري[١]:

فارفع سلاحك في وجه العدى بيدٍ ... وفي الفيالق تكبيرٌ وتهليلُ

واعلمْ بأنَّك بالإسلام منتصرٌ ... وعد العزيز وأمر الله مفعولُ

يدعو الشاعر أبناء شعبه إلى الثورة والكفاح في وجه العدو الغاصب بروح إيمانية لها عمقها الديني الذي يمثله التكبير والتهليل، والذي يجسد الممارسات الدينية للهوية الإسلامية على ثرى فلسطين المباركة، ويبيّن مكانة الدين الإسلامي العظيم في تحقيق العزة والنصر والكرامة، واقتبس مجمل كلامه من دستور الأمة الخالد ألا وهو القرآن الكريم مع قوله تعالى: ﴿ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ (محمد: ٧)، فهذ العمق يستجلي معالم الهوية ويثبت دعائمها بالقيم والمبادئ الدينية الإسلامية، ولم يتخلّ الأديب الفلسطيني عن القضايا الدينية التي تقع في قلب الصراع مع الصهاينة المعتدين، فقال الشاعر عدنان النحوي[٢]:

يا قُدسُ! يَا نجْوى الزَّمان و لَهْفَةَ الـــ (م) أُفُق المُطِلِّ علـى رُبَـاكِ ! فـأجْملي
يَا قُـدسُ ! يَـا إشـراقة الفَجْـر النَّـدِ (م) يِّ وبسمةً طَلَعتْ مَع الصُّبْحِ الجَلِـي
يَا قُدسُ! يَـا عِطـرَ الـدُّهور ونفحـةً مَا جَت على الأمَلِ الغنـيِّ المرفِـلِ
يـا قُـدسُ! يـا رفَّ الحَنـين وخَفْقـةً مِـن كـلِّ قَلـبٍ خَاشـعٍ متبتِّـلِ
يا قُدسُ! يَـا عَبَـقَ الفُتُـوحِ ونسـمةً سَارَتْ بريَّا المِسْـكِ فـوحَ قُرنْفُـلِ
يا قُدسُ ! يـا نُـورَ النُّبـوَّةِ أشـرقَتْ في الدَّاجياتِ ويَـا صَـفاء المَنْهَـلِ
كـلُّ النُّبُـواتِ التِـي بُعِثَـتْ سَـعَتْ شَـوقاً إليـكِ بِنُورِهَـا المُتَهلِّـلِ

إن هذه النداءات الروحانية لتلك المكانة الدينية التي تتجلى فيها صورة القدس الشـريف، تدعم أصول مكونات الهوية العربية والإسلامية؛ لأن مدينة القدس جزء لا يتجزأ مـن العقيـدة الإسلامية، ويصف الأديب موقع القدس عن أبناء الشعوب العربية والإسلامية، وما تمثلـه مـن مصدر إشعاع ديني له ارتباطاته وتجلياته في حياة أبناء الأمة، وبيّن الأدباء حـالات التضـحية والفداء في سبيل الله التي قدّمها أهل فلسطين، والذين سالت دمائهم في ميادين الجهاد والمقاومة، فيقول الشاعر إبراهيم المقادمة(٣):

عياش أنت الحي برغم كونك في التراب
فبذاك حدثنا الرسول وأنبأت أم الكتاب

يستذكر الأديب الشهيد المقادمة الشهيد يحيى عيّاش الذي أرعب المحتلين على ثـرى فلسـطين، واستحضر شخصية الرسول، وفاتحة القرآن الكريم وهي سورة الفاتحة، وهـذا مرتكـز دينـي متأصل وله جذوره في الهوية العربية والإسلامية التي يتحدث عن أصولها أدباء فلسطين، وقـال الشاعر عبد العزيز الرنتيسي(٤):

من للدروب الحالكات سـوى الفطاحـل فالظلمة الظلماء تجلوهـا المشـاعل
مـن ذا الـذي بـالعلم أحيـا أمـةً غيرُ الرسول وقاد بـالعلم الجحافـل
والعلـم غـوث للأنـام مـن الطـوى وبه بساط الأرض يُفرش بالسـنابل
والحرب قل لي من يخـوض غمارهـا ويصنع الصاروخ ويحـك والقنابـل
مـن ظـن أن الجهـل يبنـي دوبـة سيظل بين الخلـق رمـزاً للتنابـل

يتحدث عن سيرة الرسول(ﷺ) وما يمثله من رمز ديني ومكون أساس في العقيدة والهوية الإسلامية الأصيلة، فيطرح الرنتيسي تساؤلات مفتوحة، تلقي بظلالها على مكونات الهوية وأصولها الرصينة، فالحديث عن المضامين الدينية واستعراضها، يمثل ركناً أساسياً في تشكيل الهوية العربية والإسلامية لأدباء فلسطين؛ مما يعزز الوجود الفلسطيني أمام المستعمر الغازي.

- **التجلي الوطني**، وظف الأدباء المشاعر والقيم الوطنية في ثنايا أطروحاتهم وتعبيراتهم الأدبية التي لاقت رواجاً كبيراً ومساحةً واسعةً في الأدب الفلسطيني؛ لأن ذلك يتعلق بمكون أساس من مكونات الهوية وهي الأرض التي تمثل النواة الحقيقية للإنسان العربي على ثرى فلسطين، فاشتّد الصراع حول ذلك، وبدأت حمى الاستيطان التي شيّد أركانها التغول الصهيوني على الأراضي العربية الإسلامية في فلسطين، فتغنى الأدباء بالأمجاد الوطنية في سبيل المحافظة على الكينونة والذات في ظل التعنت الاستعماري، فقال الشاعر عبد الغني التميمي(٥):

مزقونا وانثروا اللحم على كل طريق

لا تبالوا حرقونا وارقصوا حول الحريق

وزعونا في الصحاري، أطعمونا للحوت

كل هذا في نظام الغاب جائز

غير أنا لن نبيع القدس أو أي مدينة

هل يبيع المؤمن الصادق للأعداء دينه

يتحدث بحس وطني وشعور جمعي من خلال الضمير(نا) وواو الجماعة، الذي يعبر عن المسؤولية الوطنية التي تسهم بدورها في تعزيز الهوية والسيادة لأبناء الشعب الإسلامي العربي في فلسطين، ولن يعطي أبناء فلسطين الدنية في دينهم ودنياهم، ولم يفرطوا بالثوابت الوطنية، وقال الشاعر إبراهيم المقادمة(٦):

يبذل الروح يضحي بالحياة

لا يُبالي في سبيل الحق لو سالت دماه

يحمل الروح على الكف ويمضي في مناه

إنّ الصلة بين الناس والوطن أوثق في نفوس الشعراء، إذ يعاملونه إنساناً ذا روح وهوية، فهذا الشاعر الفلسطيني محمود درويش، شاعر الوطن الذي كل كتاباته تدور حول الكشف نفسية الإنسان الذي يدافع عن وطنه بمختلف الأشكال والأزياء(٧):

نسيمك عنبر

أرضك سكر

وقلبك أخضر!

وإني طفل هواك

على حضنك الحلو

أنمو وأكبر

يدلل القول الأدبي على روح الوطنية التي تسهم في المحافظة على الوطن من كل اعتداء، فتغني الأدباء الفلسطينيون بحب وطنهم والهيام به، وجهروا بأنهم جنوده الذين يبذلون دماءهم رخيصة في الدفاع عنه، ونادوا بما ينبغي أن يكون عليه المواطن الغيور من الصفات، ونددوا بالخائن المارق وأنذروه بما سيلقى من وخامة العاقبة وسوء المنقلب(٨)، فكثافة الفعل الوطني تدل على التضحية والفداء في سبيل تحرير الوطن ونصرة قضية فلسطين التاريخية، والمحافظة عليها في ظل تداخل الأدوار وتبادلها، وتعزز الممارسات الوطنية في الأدب الفلسطيني من خلال المضامين والأفكار والأطروحات الهوية الوطنية وامتداداتها التاريخية في العمق الإسلامي والعربي في ظل اشتداد الأزمة وتفاقم معركة الهوية، وقال الشهيد الشاعر عبد الرحيم محمود(٩):

سأحمل روحي على راحتي ... وألقي بها في مهاوي الردى

فإما حياة تسر الصديق ... وإما ممات يغيض العدا

إن الفناء في طريق المجد وترسيخ الهوية من التمثيلات الدلالية التي عبّر عنها أدباء فلسطين بكل صدق وأمانة، فذوبان الروح واختلاط الجسد بالأرض والوطن يجسد حالة العشق الأزلي للوجود العربي المسلم في فلسطين التي تمثل رمز الأمة وعنوان الكيان العربي وهويته الحضارية وتراكماتها التاريخية، وقال الشاعر عبد العزيز الرنتيسي(١٠):

فصـــب المـــداد وكـــن حازمـــاً ... لتفضـــح أذنـــاب جـــيش الـــدفاع

ولا تخـــش فـــي الله لومـــاً ومـــن ... أراد العـــلا لا يهـــاب الأفـــاع

وحـــرض إذا مـــا الـــوغى أضـــرمت ... وطـــاب الفـــدا وحـــل الصـــراع

الدفاع عن ثرى الوطن يجسد حالة ثورية تدعو إلى الرفض والتمرد في وجه المستعمرين والغزاة، فيدعوا أدباء فلسطين بحسهم الوطني إلى الانتفاض في وجه المحتلين الأوغاد، ويشيدون بحالة الكفاح والنضال الوطني الذي يقوم به أبناء فلسطين؛ للذود عن حياض الوطن ومقارعة الأعداء والحفاظ على الكينونة والسيادة والوجود الفلسطيني العربي المسلم على ثرى هذه البقعة المقدسة، التي تعد رمزاً أساسياً للهوية والتراث القومي والعربي والإسلامي.

- **التجلي الفكري:** تبرز الكلام في الخطاب الأدبي بمضامين فكرية لها دلالاتها المتداخلة مع الوجود الفلسطيني وتكوينات هويته العربية والإسلامية، فعبّر الأدباء عن القضايا الجوهرية في الفكر الفلسطيني الأصيل، الذي يمثل الثوابت الوطنية والتاريخية والقومية للشعب الفلسطيني الحر، فتجلت المسائل المحورية في التعابير الشعرية ومشكّلاتها، فتحدث الأدباء عن قضية القدس وما تشكله من ركن رئيس في الهوية الوطنية الفلسطينية وامتداداتها وارتباطاتها، فقال الشاعر محمد البع[١١]

والقـــدس عاصـــمة تبقـــى لنـــا أبـــداً ... مهما يكن مهرها يـــا هيئـــة الأمـــم

شاء اليهـــود بهـــذا الأمـــر أم رفضـــوا ... خاب الجميع وخابت عصـــبة اللمـــم

يجسد قول الشاعر مبدأ أساس في التمســك بالثوابــت الوطنيــة والمنطلقــات الفكريــة والأيديولوجية التي عبّر عنها أدباء فلسطين، فيدحض الأديب ما تفتريه هيئة الأمم المتحدة التــي تنحاز لابنها المدلل الكيان الصهيوني، مما يمثل العربدة الدولية فــي مســاندة اليهــود، فأحقيــة فلسطين وقضاياها الفكرية والاستراتيجية والدولية من مكونات الهوية الحضارية لفلســطين بــين أمم الأرض وثقافات الشعوب، واستطاع الأدباء ربط قضية فلسطين بعمقها الفكري الضارب في التاريخ العربي والإسلامي، فقال الشاعر عبد الرحمن بارود[١٢]:

يا علقمه..

من وراء علقمه .. وجد جدِّ علقمه

جيش محمد هنا

ويوم خيبر اقترب

ولن تضيع قدْسنا

ولن يُهَّود العربْ

يُلاحظ النبرة الفكرية المتعمقة التي تضرب بجذورها في أركان الدين الإسلامي الحنيف، ورفض الاستسلام لأبناء القردة وأحفاد الخنازير ومن والاهم، ويقود ذلك إلى استنهاض الأفكار المقاومة والتي تسير على جادة الصواب في إحقاق الحق وإنصاف الناس في معاملاتهم وتعاملهم، واستعراض القضايا الكبرى التي تشكِّل بمجملها ومفصلها الأيديولوجية العربية والإسلامية الرصينة في العصر الحديث، في ظل تعدد المشارب وتنوع الأفكار وأطروحاتها.

- **التجلي الثقافي:** برزت صراع الهوية في الأدب الفلسطيني، وذلك في تركيزه على قضايا الأمة العربية والإسلامية، واستعراضها في صلب نصوص الخطاب الأدبي الفلسطيني المتفاعل، في بنية ثقافية لها علاقاتها وارتباطاتها بالمكون الثقافي للأمة العربية والإسلامية، فقال الشاعر تميم البرغوثي(١٣):

"أرى العراق طويل الليل"

أكنت تعني رأي العين ليلاً حسياً طويلاً

تزيده حرارة الجو

وغلاظة رقاب الأمراء

يجفل من حولها الهواء

تاركاً فراغاً خانقاً لأي حي يقترب؟

أم كنت تعني رأي أهل الحساب والمنطق

أن من يملك الجنة يعش بين نارين

نار الدفاع عنها إن بقيت

ونار الندم على خسرانها إن ضاعت؟

أم كنت تعني رأي الرؤيا؟

كأنك أصبت من النبوة بعضها

في أي بلورة نظرت؟

يُلاحظ التداخل الثقافي في مختلف المجالات والقطاعات الحيوية، التي تشكل في جوهرها الهوية الثقافية لأبناء الشعب الفلسطيني، فقد انصهرت الأفكار والثقافات وممارساتها في مختلف الجوانب على صورة الهوية وارتباطاتها في بتنوعات العلوم والمعارف والفنون والآداب، وتنوعت الأدوات الثقافية التي تبرز الصورة الحضارية للهوية، فقال الشاعر أحمد الريفي(١٤):

القـــــدس والأقصـــــى لنـــــا ... ســـــأقولها مـــــلءَ الفَـــــم

ســـــأقولها برصاصـــــتي ... بقصـــــائدي للأنجـــــم

القـــــدس والأقصـــــى لنـــــا ... يـــــا أرض فلتتكلمـــــي

تحدث الأديب الفلسطيني عن دور الكلمة ومردودها الثقافي في إدارة المعركة وإثبات الهوية الأصيلة للمجتمع الفلسطيني، وتوضيح مشكِّلاتها ودورها الحيوي في إبراز الحقائق واستجلاء المعالم، وتطرق الأديب إلى دور السلاح في المواجهة ونشر المبادئ والقيم الوطنية من أجل نيل الحرية والاستقلال، فتمسك الأديب الفلسطيني بثوابت هويته ومكوناتها الرئيسة.

- **التجلي التاريخي والقومي**، تحدث الأدب الفلسطيني عن القضايا التاريخية والقومية التي تهم الأمة والشعب الفلسطيني بأسره، وهذه القضايا تتمثل في الارتباطات والحوادث والوقائع عبر الزمن التي وقعت على ثرى فلسطين الطاهرة، فقال الشاعر عدنان النحوي(١٥):

وغـــداً ســـتطلع أمـــةٌ موصـــولةٌ ... بزحوفهـــا تُعلـــي النـــدا وتُكبِّـــرُ

تـــرتجّ ســـاحات وتلتهـــبُ الـــذُّرا ... وتمـــوج رايـــاتُ الجِهـــادِ وتهـــدرُ

وتعـــد للإســـلام قدســـك والرُّبـــا ... غنـــاء تخفـــق بـــالحنين وتجهـــرُ

والمســـجد الأقصـــى وهالـــة نـــوره ... أمـــل يمـــوج علـــى المرابـــع نيـــرُ

يتحدث عن المكانة المرموقة للأمة العربية والإسلامية التي تنتمي إليها الهوي الفلسطينية الحضارية المعاصرة، التي تواجه القمع والسحق الصهيوني الممنهج من أجل تشويهها وطمس معالمها بكل الوسائل والسبل، ويقول الشاعر تميم البرغوثي(١٦):

يا أمتي أدري بأن المرء قد يخشى المهالك

لكن أذكركم فقط فتذكروا

قد كان هذا كله من قبل واجتزنا به

لا شيء من هذا يخيف ولا مفاجأة هنالك

يا أمتي ارتبكي قليلاً إنه أمر طبيعي

وقومي

إنه أمر طبيعي كذلك

يطرح الأديب الفلسطيني موضوعات لها ارتباطاتها المتعمقة في بيان مكانة الهوية وحضورها السيادي على ثرى فلسطين المباركة، ويبيّن الأديب التقلبات التي تمر بها الأمة ورياح التغيير التي تغشاها، ويذكر بالوقائع والأحداث والمجريات التي تمر بها الأمة، وقال الشاعر تميم البرغوثي(١٧):

أَرَى أُمَّـــةً فـــي الغـــارِ بَعْـــدَ مُحَمَّـــدٍ ... تَعُـــودُ إِليـــهِ حِـــينَ يَفْـــدَحُهَا الأَمْـــرُ

دخلـــتِ إليـــه اثنـــينِ أوَّلَ مَـــرَةٍ ... نَبِيًّا وصِدِيقاً وَشَـــى بهمـــا الـــوَعْرُ

أيا أمـــةً فـــي الغـــارِ تبغِـــي حمايـــةً ... من الطيرِ معذورٌ إذا خانَـــكِ الطيـــرُ

وجبريـــل يـــأتي الغـــار كـــلَّ عَشِـــيَّةٍ ... ويذهبُ والغافونَ في الغارِ لم يـــدروا

يتحدث الأديب عن التاريخ الإسلامي وعن حادثة غار حراء، الذي لجأ فيه الرسول(ﷺ) وصاحبه معه، ويربط ذلك بواقع الأمة المعاصر، كل ذلك يُؤصل للهوية العربية والإسلامية في فلسطين التي شهدت أحداث تاريخية لها ارتباطاتها القومية وتمثيلاتها الحضارية المعاصرة، التي تواجه الروايات التاريخية الزائفة التي اصطنعتها الحركة الصهيونية وأذرعها الداعمة لها.

- **التجلي الثوري التنويري المقاوم**، يدعو الأدب الفلسطيني بمضامينه إلى النفير العام واستنهاض الهمم وتثوير الجماهير وتنويرهم، حول الحقوق والواجبات الوطنية من أجل تدعيم أصول الهوية الأصيلة التي ترتبط بالمحيط العربي والإسلامي، وارتفع الحس الثوري في الأدب الفلسطيني من أجل حماية الحلم الفلسطيني بنيل الحرية والاستقلال، فامتشق الأديب الفلسطيني يراعه للمحافظة على هويته، ولكنه لم يسلم من بطش الغزاة، فاستشهد كثير من الأدباء الفلسطينيين، ودفعوا جراء ذلك حياتهم ضريبة لذلك؛ لتكون نبراساً لهوية الأجيال المتعاقبة من

أبناء الأمة العربية والإسلامية جمعاء، حتى تكون قضية فلسطين في عين الأحداث والمجريات والوقائع في الساحات والميادين والمواقع الثورية، فقال الشاعر سمير العمري(١٨):

هـذا لا سـلاح سـلاحنا حتـى نـرى ... فرجـاً قريبـاً أو غبـار جحافـل

صوت البنادق فـي الـوغى أنشـودتى ... وصدى المدافع لـن يهـز تحملـي

وحملـت رشاشـي بقلـب ثـائر ... ونـذرتُ عمـري للكفـاح الشـامل

هـذا الطريـق طريقنـا حتـى نـرى ... علـم الكرامـة عاليـاً حُـراً جَلـى

وتغنى الشعراء بالمنجز الثوري وما حققته المقاومة على ثرى فلسطين الطاهر، فلا يفل الحديد إلا الحدي، وبمقدار القوة التي يمتلكها الشعب الفلسطيني، يمكنه حمايه هويته وأصل وجوده، بما يعزز العقيدة الوطنية عند مختلف فئات الشعب الفلسطيني؛ فقال الشاعر تامر زكارنة(١٩):

هـذي كتائـب عزنـا قـد أقبلـت ... في ركبها يمضـي الإبـاء ويلحـق

لاذت بحبـل الله واعتصـمت بـه ... والحـق أنجـى والعقيـدة أوثـق

يعبر الأديب الفلسطيني عن التمسك بالعقيدة السليمة التي تحافظ على القيم والمبادئ، وترسخ أساسيات الهوية وتكويناتها في ممارسات النضال الوطني عند أبناء فلسطين؛ فيقول الشاعر عبد العزيز الرنتيسي(٢٠):

عودوا إلى الرشـاش تحضـنه اللحـى ... بخنادق الإخوان تزهو صورُ بـاهر

كم أزكمت منـا الأنـوف تـرى وكـم ... قد بُحَّ من فرض النُباحِ بها حنـاجر

فغـداً تعـود لنـا الـديارُ تبثُّنـا ... أشواقها ونقيل فـي ظـل البيـادر

يتحدث الأديب عن طريق الثورة وأدواتها في مواجهة الحقد الصهيوني، وعن الوحدة والتماسك في خندق الجهاد والثورة والمقاومة؛ فقال الشاعر لطفي الياسيني(٢١):

يـا أمـة الإسـلام أيـن زئيـركم ... هل من صـلاح قـد يعيـد ديـاري

كـل الشـعوب تعـيش فـي أوطانهـا ... أما أنا فـي القصـف تحـت دمـار

والمسـجد الأقصـى يعيـث بركنـه ... قـوم البغـاث وأمـة الأشـرار

إن لـم تهبـوا فـالجميع محاسـب ... يـوم الحسـاب بوقفـة الجبـار

أســـفي علـــى دول تبيـــع شـــعوبها ... من أجل بـــوش الحاقـــد السمســـار

ســـبعين عامـــاً والقيـــود بمعصـــمي ... والغيـــر فـــي الحانـــات كالخمـــار

من يســـتعيد المســـجد الأقصـــى ومـــن ... ســـيرد لـــي أرضـــي مـــن الـــزوار

إن مناشدة الأمة واستنهاض همتها من العوامل الرئيسة التي تبني جيلاً مقاوماً له وسائله وأدواته في المحافظة على الذات والتكوين الوطني الصحيح الذي يسير على طريق الجادة، ويقود ذلك إلى التفاعل الحقيقي مع مجريات الأحداث والتفاعل مع مختلف القضايا والمسائل التي تتعلق بصراع الهوية ومجرياتها.

ثالثاً- دور الأدب العربي الفلسطيني وتجلياته في مواجهة صراع الهوية.

يمكن الأدب الفلسطيني في تجلياته المطروحة في مضامين نصوص الخطاب المنجز، الذي يتكون من أساسيات لها دلالاتها العميقة في منتجات الأدب الفلسطيني المعاصر، مما يدعم أصول التفكير الديني وأطروحاته التي تمثل جوهر الهوية الأساسية ومرجعيات رئيسة للسلوكيات المبثوثة في متن النصوص الأدبية المطروحة، فتحدث الأدباء عن المحاور الدينية التي ترجع في أصولها للممارسات الدينية النابعة من وحي الإسلام العظيم، وما تمثله فلسطين من مهبط للديانات، فيبيّن ذلك الهوية الإسلامية لهذه الأرض المباركة، ويدعم الوجود العربي في فلسطين، بما يحقق السيادة والريادة لعامل العروبة ومنطلقاتها في تكوين الهوية الحضارية وما يرتبط بها من مقومات أساسية تشكِّل بمجملها الحق الديني التاريخي للعرب والمسلمين في أرض فلسطين، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى تعبير الأدباء عن القضايا الوطنية التي تسعى إلى الحفاظ على الإنسان والأرض في ظل اشتداد الأزمة وتعقد مسائلها، وتحدث الأدباء بحرقة وبمشاعر صادقة لها دلالاتها العميقة في بناء الذات والشخصية التي تبرز على أعمالها وتصرفاتها الهوية الحضارية لأبناء الشعب الفلسطيني العربي المسلم، ويعمل ذلك على مواجهة التصرفات الصهيونية التي تسعى إلى محق الهوية الفلسطينية وتجريد الإنسان الفلسطيني من وطنيته وأصوله، فالمشاعر والأفكار الوطنية برزت بوضوح في نصوص الخطاب الأدبي الفلسطيني، وأخذت منحنيات مختلفة في النسقيات الكتابية والأدوات التركيبية التي لها تعبيراتها الفنية الصادقة عن الهوية الأصلية للإنسان الفلسطيني، التي يمكن بمقدورها أن تثبت نفسها أمام التقلبات والمتغيرات التي تتعرض لها الهوية الفلسطينية، فهموم الوطن لم تفارق المنجز الأدبي

الفلسطيني، ويُؤصل ذلك إلى الهوية القومية وارتباطاتها بالماضي والحاضر والمستقبل؛ بمعنى أن ذلك يرسم صورة حيوية لطبيعة الانتماء الفلسطيني للأرض وللأمة وتراثها الخالد؛ نظراً لما تمثله فلسطين من مكانة تاريخية عبر الزمن، باعتبارها تربط بين ثلاث قارات، مما جعل صراع الهوية يأخذ أشكالاً غير مألوفة، فتمجيد الوطن وبطولات أهله يعزز من عوامل صمود الهوية وبقائها في ظل الممارسات العدوانية المستمرة التي تهدف إلى استئصال الوجود الفلسطيني وتسعى إلى اجتثاثه.

التجلي الفكري القائم على بيان أنماط التعامل والسلوكيات العامة، وتضمينها كمحاور أساسية لها علاقاتها الأيديولوجية في العقيدة العربية والإسلامية عند الإنسان الفلسطيني، مما يعزز من أصول الهوية ودعائمها الرئيسة التي تشكل في جوهرها الصورة الفكرية العامة لأبناء المجتمع الفلسطيني، فتسهم أسس التفكير وموضوعاتها الوطنية والدينية والقومية في صلب الخطاب الأدبي الفلسطيني في توثيق دعائم هوية أبناء فلسطين، وضمان تفاعلاتها مع المجتمع المحيط، فشحن الأدب الفلسطيني الشعور الجمعي للجماهير العربية والإسلامية بمقومات الهوية الحضارية لأبناء الأمة، وتجديد نشاطاتها في ظل الأيديولوجيات المعاصرة، مما ينتج بنية ثقافية واعية مستبصرة بقضايا الأمة والصراعات التي تواجهها على ثرى فلسطين التاريخية، فتكوين المستوى الثقافي العام، وارتبطت سبل مواجهة صراع الهوية وما تتعرض له من طمس وتشويه من قبل قوى الظلم والاستعمار، بالعمق التاريخي والقومي لقضية فلسطين، وتراكمية تاريخها عبر الزمن، والحديث عن الأعمال والمجريات والوقائع والأحداث الجهادية التي تهتم بتثوير الجماهير وحضهم على مقاومة قوى البغي والظلم والسياسات التنكيلية التي تتعرض لها الهوية الفلسطينية، وأضف إلى ذلك أن الأدب الفلسطيني ساهم في تنظيم الوعي الجمعي للأمة والارتقاء به في ظل ما تتعرض له المجتمعات العربية والإسلامية من دسائس ومؤامرات سرية وعلنية، فتجلت رؤية الأدباء لمواجهة صراع الهوية على ثرى فلسطين، في استنهاض الهمم وشحن كفايتها بالوسائل والمرتكزات التي تسهم في تشكيل الوعي وتنشيطه في القضايا الجوهرية لفلسطين وأبعادها في تاريخ الأمة ومنجزاتها، والعمل على تنوير الجماهير وتثويرها بمنهجية سليمة، تعمل على رسم الهوية الحضارية، وبيان قيمتها أمام الأجيال المتعاقبة، لم يكن الأدب

الفلسطيني أدباً عبثياً إنما يمثل أصالة الهوية الفلسطينية وامتداداتها في عمق تاريخ الأمة العربية والإسلامية.

نتائج البحث وتوصياته

اشتمل هذا البحث على كثير من التحليلات والإشارات المتعلقة بدور الأدب الفلسطيني وتجلياته في مواجهة الصراع، ومن أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليه البحث، ما يلي:

أولاً- النتائج:

١- برزت وجوه صراع الهوية في الأدب الفلسطيني فوصف الأدباء مجريات ذلك وأحداثه التي لحقت بقضية المجتمع الفلسطيني.

٢- استعرض الأدب الفلسطيني في سياق نصوص خطابه صراع الهوية مع المستعمر الغازي ومن والاه، ضمن بنية تثويرية وتنويريه تستهدف تعميق الانتماء والسيادة الوطنية وارتباطاتها بالأمة.

٣- ارتكز الأدباء الفلسطينيون على البعد العربي والإسلامي في مواجهة المحتل الغاصب.

٤- بيّن الأدباء الفلسطينيون العمق العربي والإسلامي للقضية الفلسطينية، ويدعم ذلك الشعور الجمعي في مواجهة صراع الهوية وحسم نتائجه.

٥- تنوعت منطلقات صراع الهوية في الأدب الفلسطيني، وظهرت تجليات سياقية في نصوص الخطاب المنجز ترتبط بالقضايا الدينية والوطنية والفكرية والثقافية والتاريخية والقومية والثورية والمقاومة، فتشكل في مجملها ومفصلها مرتكزات تكوينية للهوية الحضارية للفلسطينيين.

٦- ساهم الأدب الفلسطيني بتفعيل دور أدوات المواجهة وتنويع أنماطها من خلال بنية خطابية تستنهض الهمم وتشحن الجمهور في مجابهة صراع الهوية وإثبات الذات؛ مما يعيد تشكيل الرؤى حول طبيعة الصراع.

ثانياً- التوصيات:

١- استعراض القضايا الفكرية والثقافية والقومية والتاريخية في الأدب الفلسطيني، وبيان معالمها في ظل وجود صراع مع الآخر متنوع الأشكال ومتعدد الأقطاب.

٢- دراسة مضامين الخطاب الأدبي العربي في مناطق الصراع، والكشف عن مضامينه وارتباطاته وأبعاده الأيديولوجية المتعلق بالهوية العربية والإسلامية.

هوامش البحث ومصادره:

(١) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة، ١٣٤/١.
(٢) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة ٢٩٠/١.
(٣) لا تسرقوا الشمس، ٤٣.
(٤) ديوان حديث النفس، ص٥٦-٥٧.
(٥) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة ٢٤٠/١.
(٦) لا تسرقوا الشمس، ص١٢.
(٧) ديوان محمود درويش، ص٢٢٢.
(٨) قضية الشعر الجديد، ص٥٢٢.
(٩) الأدب العربي المعاصر، ١٦٣.
(١٠) ديوان حديث النفس، ص ٨٣.
(١١) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة ٣٢٨/١.
(١٢) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة ١٩٣/١.
(١٣) مقام عراق، ٢٤-٢٥.
(١٤) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة ٥٦/١.
(١٥) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة ٢٩٢/١.
(١٦) في القدس، ص٥٩.
(١٧) في القدس، ص ٥٤.
(١٨) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة ١٤٥/١.
(١٩) ديوان لأجلك غزة، ص٩٦.
(٢٠) ديوان حديث النفس٦٩-٧٠.
(٢١) ديوان لأجلك غزة، ٣٩١.

فهرس المصادر والمراجع

١- الأدب العربي المعاصر، كامل السوافيري، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م.
٢- ديوان حديث النفس، عبد العزيز الرنتيسي، منتدى أمجاد الثقافي، غزة ٢٠٠٥م.
٣- ديوان لأجلك غزة، موسى أبو دقة، منشورات منتدى أمجاد الثقافي، غزة ٢٠٠٩م.
٤- ديوان محمود درويش، دار العودة، ط١١، بيروت ١٩٨٢م.
٥- في القدس، تميم البرغوثي، مطبعة الأيام، رام الله ٢٠٠٨م.
٦- قضية الشعر الجديد، محمد النويهي، دار الفكر، ط٢، بيروت ١٩٧١م.
٧- لا تسرقوا الشمس، إبراهيم المقادمة، إصدارات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠٠٤م.
٨- مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة، يوسف الكحلوت، المركز الدولي للنشر، ط٢، غزة ٢٠٠٤م
٩- مقام عراق، تميم البرغوثي، دار أطلس، القاهرة ٢٠٠٥م.